التشابه اللفظي بالإبدال وأغراضه
سورتي الإسراء والكهف
أنموذجاً

د . شريف عبد العليم محمود
Dr. Sharif Abd El-Aleem Mahmoud
جامعة الوصل–دبي
Al-Wasl University - Dubai

ملخص البحث

تعنى هذه الدراسة بالمتشابه اللفظي بالإبدال في سورتي الإسراء والكهف.

وتكمنُ مشكلة الدراسة في ورود آيات في سورتي الإسراء والكهف تتشابه تشابهًا لفظيًا بالإبدال، الأمر الذي يثير في ذهن القارئ جملة من الأسئلة عن حكمها وأسرارها.

وتهدف هذه الدراسة إلى إبراز الحكم والأسرار الكامنة وراء هذا التشابه اللفظي في هاتين السورتين وقد عولجت هذه الدراسة في أربعة مطالب.

وقد توسل الباحث لبلوغ بعض مرام هذه الدراسة بالمنهج الوصفي القائم على المناهج الفرعية الآتية: المنهج الاستقرائي، والمنهج التحليلي، والمنهج الاستنباطي، وذلك باستقراء الآيات المتشابهة لفظًا بالإبدال في سورتي الإسراء والكهف ودراستها واستنباط الحكم والأسرار الكامنة وراء ذلك.

وثمَّة نتائج عديدة خلصَ إليها الباحثُ، وقد ذُكرتْ مفصلة في خاتمة الدراسة، وجلها يلتقي في أنَّ النص القرآني نظم دقيق سبكت حروفه، وكلماته، وجمله في قالب محكم بترتيب مخصوص ليؤدي المعنى المراد على أكمل وجه.

الكلمات المفتاحية:

(المتشابه اللفظي-الإبدال – أسرار المتشابه اللفظي-الإبدال في الحروف-الإبدال في الكلمات).

التشابه اللفظي بالإبدال وأغراضه

المقدمة

الحمد لله رب العالمين وأصلي وأسلم على سيد الأولين والآخرين، وإمام الغر الميامين، وعلى أصحابه الطيبين الطاهرين، ومن سار على نهجه إلى يوم الدين، وبعد:

فإن الله سبحانه وتعالى قد أنزل على رسوله الكريم، كتابًا عجيبًا في نظمه، بديعًا في رصفه، غاية في بيانه، معجزًا في بلاغته وأسلوبه، محكمًا في آياته، حاويًا أنباء السابقين، وأخبار اللاحقين، تحدى به أساطين البلاغة وفرسان الفصاحة فأفحمهم، حارت فيه العقول الناصعة، وكلت عن وصفه الألسن البارعة.

وكتاب هذا وصفه حري بأن تتوجه إليه الهمم منذ نزوله لدراسته وفهمه والوقوف على أسراره وحكمه، وقد كان هذا شان القرآن الكريم، فقد عرف المسلمون قيمته وعظمته وفضله فأكبروه، وبذلوا في فهمه وتفسيره واستخراج أحكامه وحكمه جهودهم، ووقف الكثير منهم أعمارهم عليه، فمنهم من كتب في تفسيره، ومنهم كتب في أحكامه، ومنهم من كتب في قراءته، ومنهم من كتب في بلاغته، ومنهم من كتب في ناسخه ومنسوخه، ومنهم من كتب في متشابهه، ولا تزال الجهود المبذولة في القرآن الكريم مستمرةً، لا ينقطع مددها ولا تتوقف ينابيعها.

وقد رأيت أن أشمر عن ساعد الجد وأكتب دراسة مختصرة في ميدان خصب من ميادين القرآن الكريم ألا وهو ميدان "المتشابه اللفظي في القرآن الكريم"، وقد عنونة لهذه الدراسة بـــ" التشابه اللفظي بالإبدال وأغراضه سورتي الإسراء والكهف أنموذجًا"

. والله الموفق والمعين، والهادي إلى سواء السبيل.

إشكالية الدراسة:

تكمنُ إشكالية الدراسة في ورود آيات في سورتي الإسراء والكهف تتشابه مع آيات أخرى تشابهًا لفظيًا بالإبدال في بعض مكوناتها، الأمر الذي يثير في ذهن القارئ جملة من الأسئلة عن حكمها وأسرارها، وقد جاءت هذه الدراسة لبيان هذه الحكم وتلك الأسرار، ويتوقع الباحث أن تجيب الدراسة على التساؤلات الآتية:

١. ما المقصود بالتشابه اللفظي بالإبدال؟
٢. ما الحكم وراء إبدال حرف بحرف أو كلمة بكلمة أو جملة بجملة في سورتي الإسراء والكهف؟
٣. ما أثر التشابه اللفظي بالإبدال على النص القرآني في سورتي الإسراء والكهف؟

أهمية الدراسة:

تأتي أهمية الدراسة من خلال الآتي:

١. تأتي أهمية الدراسة من أنها تعنى بدراسة المتشابه اللفظي الذي يُعد جانبًا مهمًا من جوانب الإعجاز القرآني.
٢. تكشف الدراسة عن بعض الحكم والأسرار الكامنة وراء المتشابه اللفظي.
٣. إنها تظهر جانبًا من جوانب عظمة القرآن الكريم.
٤. تبين عناية القرآن في استعمال الألفاظ المناسبة في مكانها المناسب.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى:

١. بيان المقصود بالتشابه اللفظي بالإبدال.
٢. جمع آيات التشابه اللفظي الواردة في سورتي الإسراء والكهف.
٣. التعرف من خلال المتشابه اللفظي على جوانب الإعجاز القرآني.
٤. بيان الحِكَم الكامنة وراء المتشابه اللفظي بإبدال حرف بحرف أو كلمة بكلمة أو جملة بجملة في سورتي الإسراء والكهف.
٥. بيان أثر التشابه اللفظي بالإبدال على النص القرآني في سورتي الإسراء والكهف.

الدراسات السابقة:

اهتم العلماء قديمًا وحديثًا بالمتشابه اللفظي في القرآن الكريم، فألفوا فيه العديد من الكتب والأبحاث العلمية المختلفة، ولئلا يكون صلب الدراسة تكرارًا لجهد علمي مبذول فقد ذرعت ما هو كائن من الدراسات في هذا الصدد بالمطالعة فألفيتها عديدة، فأذكر منها على سبيل المثال:

١. المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وأسراره البلاغية -إعداد: صالح بن عبد الله بن محمد الشثري، وهي رسالة مقدّمة لفرع البلاغة والنقد في كلّية اللغة العربية بجامعة أم القرى بمكة -وقد نوقشت عام١٤٢١هـ.

وهذه الرسالة تتناول نماذج للمتشابه اللفظي في القرآن الكريم كاملا، وكانت هذه النماذج تشمل (الاختلاف في الآيات المتشابهة في اختيار الصيغة، وفي الإفراد والجمع، وفي التذكير والتأنيث، وفي التعريف والتنكير، وفي الحذف والذكر، والتقديم والتأخير، وفي الفصل والوصل.

٢. دلالة المتشابه اللفظي في السياقات القرآنية، للباحث برجمون فاطمة زهرة، جامعة جيلالي ليابس، سنة٢٠١٦-٢٠١٧.

وهذه الدراسة تناولت ماهية المتشابه اللفظي، ثم تناولت دلالة المتشابه اللفظي في القصص القرآني.

٣. المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وتوجيهه دراسة موضوعية، رسالة ماجستير، للباحث، محمد راشد البركة، جامعة الإمام محمد بن سعود، كلية أصول الدين الرياض.

وهذه الدراسة تتناول التعريف بالمتشابه نشأته وأنواعه أهميته، وقواعده العامة والخاصة.

٤. ((إعانة الحفّاظ للآيات المتشابهة الألفاظ)) تأليف: محمد طلحة بلال منيار، وقد صدرت طبعته الأولى عن دار نور المكتبات – عام: ١٤٢٤ هـ.

ومحور هذه الدراسة المؤلفات في المتشابه، والضوابط العامة للآيات المتشابهة.

أمّا هذه الدراسة التي بصدد كتابتها فيه تعني بالمتشابه اللفظي بالإبدال في سورتي الإسراء والكهف، ولم أقف على دراسة تناولت دراسة التشابه اللفظي بالإبدال في السورتين.

حدود الدراسة:

تظهر حدود الدراسة من عنوانها (التشابه اللفظي بالإبدال وأسراره سورتي الإسراء والكهف أنموذجًا) فالدراسة تدور حول المتشابه اللفظي في سورتي الإسراء والكهف.

خطة الدراسة: اقتضت طبيعة الدراسة تقسيمها إلى: مقدمة، وأربعة مطالب، وخاتمة.

- ✓ المقدمة: فتتحدث عن أهمية الموضوع، ومشكلته، ومنهجه، وخطته.

التشابه اللفظي بالإبدال وأغراضه

- ✓ التمهيد: تعريف المتشابه اللفظي بالإبدال.
- ✓ المطلب الأول: التشابه اللفظي بإبدال حرف بحرف.
- ✓ المطلب الثاني: التشابه اللفظي بإبدال لفظ بلفظ.
- ✓ المطلب الثالث: التشابه اللفظي بإبدال جملة بجملة.
- ✓ خاتمة الدراسة: وفيها أهم النتائج، والتوصيات.

منهج الدراسة

سلكت في هذه الدراسة المنهج الوصفي القائم على المناهج الفرعية الآتية: المنهج الاستقرائي، والمنهج التحليلي، والمنهج الاستنباطي، وذلك من خلال جمع الآيات المتعلقة بالمتشابه اللفظي ودراستها، واستخلاص حكمها وأسرارها، بالإضافة إلى بعض الأدوات الأخرى مثل:

- نقل الأقوال من مصادرها، وعزوها إلى أصحابها.
- عزو الآيات القرآنية، وتخريج الأحاديث والآثار من مظانها، والحكم عليها إن كانت في غير الصحيحين.
- الاعتماد على المصادر الأصلية، ذاكرًا اسم الكتاب، والجزء والصفحة.

وهذا أوان البدء في المقصود، والله أسأل التوفيق والسداد.

التمهيد: تعريف المتشابه اللفظي بالإبدال:

أولا: تعريف المتشابه اللفظي لغة واصطلاحًا:

أ – تعريف المتشابه اللفظي في اللغة:

المتشابه اللفظي مصطلح مركب من كلمتين، كلمة "المتشابه" وكلمة "اللفظي"، ولمعرفة هذا المركب لا بد من فهم جزأيه.

– تعريف كلمة "المتشابه":

قال ابن فارس: «الشين والباء والهاء أصل واحد يدل على تشابه الشيء وتشاكله لونا ووصفا»(١)، والشِّبْهُ والشَّبِيهُ: المِثْلُ، وَالجَمْعُ أَشْباهٌ. وأَشْبَه الشيءُ الشيءَ: مَاثَلَهُ. وَفِي الْمَثَلِ: مَنْ أَشْبَه أَباه فَمَا ظَلَم، والمشبهات من الأمور: المشكلات. واشتبه الأمران، إذا أشكلا، والشبهة، بالضم: الالتباس، والمثل. وشبه عليه الأمر تشبيها: لبس عليه(٢).

مما سبق يتبين لنا: أن كلمة المتشابه يراد بها معان عدة منها: التماثل، والالتباس، والإشكال.

– تعريف كلمة اللّفْظِيّ:

اللفظي: نسبة إلى " اللَّفْظ "، واللَّفْظ مصدر لَفَظَ، يَلْفِظُ، لَفْظَاً، يراد به: الملفوظ وهو الكلام، ولَفَظَ بالكلام، وتلَفَّظ به: تكلَّم(٣).

قال ابن فارس: "(لفظ) اللام والفاء والظاء: كلمة صحيحة تدلّ على طرح الشيء، وغالب ذلك أن يكون من الفم"(٤).

ب–تعريف "المتشابه اللفظي" اصطلاحًا:

(١) ابن فارس، «مقاييس اللغة»، (٢٤٣/٣).

(٢) ابن منظور، لسان العرب، (٥٠٣/١٣)، الزبيدي، «تاج العروس» (٤١١/٣٦).

(٣) انظر: «العين»، للخليل، (١٦١/٨)، الأزهري، «تهذيب اللغة»، (٢٧٣/١٤).

(٤) انظر: الأزهري، مرجع سابق، (١٤/ ٢٧٣)، ابن فارس، مرجع سابق، (٢٥٩/٥).

التشابه اللفظي بالإبدال وأغراضه

تعددت تعريفات المتشابه اللفظي اصطلاحًا، ومن أهمها:

قال الزركشي: «وهو إيراد القصة الواحدة في صور شتى وفواصل مختلفة»[١].

وقال الجرمي: «هو تشابه آيات القرآن الكريم في الألفاظ والمعاني، بحيث يكون ثمّ تغاير طفيف بين آية وآية، وفق ما يقتضيه السياق والتعبير»[٢].

تعريف الدكتور: محمد الصامل وهو: " ما توارد من الآيات بنوع من التبديل والتغيير في ألفاظها "[٣]

تعريف محمد مِنْيَار وهو: " الآيات المكرَّرات في اللفظ؛ بسياقها أو مع إبدال"[٤].

المتشابه اللفظي (اصطلاحاً) هو: الآيات المتماثلة لفظاً باتفاقٍ أو مع اختلاف في الحروف أو الكلمات.

ثانيًا: أنواع المتشابه اللفظي:

تكلم الكثير من العلماء والباحثين في أنواع المتشابه اللفظي، فزاد بعضهم فيها، ونقص آخرون، وأدخل البعض فيها ما ليس منها. وها أنا ذا أقتصر على ذكر ما أورده العلامة بدر الدين الزركشي رحمه الله تعالى، لأنه ذكر أهم هذه الأنواع، وهي:

---

(١) الزركشي، «البرهان في علوم القرآن»، (١/ ١١٢)، الكفوي، «الكليات»، (ص٨٤٥):

(٢) الجرمي، معجم علوم القرآن، (ص٢٤١).

(٣) الصامل، «من بلاغة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم»، (ص١٣).

(٤) منيار، «إعانة الحفاظ للآيات المتشابهة الألفاظ»، (ص٩٣).

الأول: أن يكون في موضع على نظم وفي آخر على عكسه، وهو يشبه رد العجز على الصدر، ووقع في القرآن منه كثير ومثال: قال تعالى ﴿وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾ [البقرة:٦٢] وفي الحج: ﴿وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ [الحج: ١٧]

الثاني: ما يشتبه بالزيادة والنقصان، ففي البقرة ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٦﴾ [البقرة: ٦]، وفي يس {وسواء} بزيادة واو.

الثالث: التقديم والتأخير وهو قريب من الأول ومنه في البقرة: ﴿يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٢٩﴾ [البقرة: ١٢٩] مؤخر وما سواه: ﴿وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾[آل عمران: ١٦٤].

الرابع: بالتعريف والتنكير كقوله في البقرة: ﴿وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ﴾ وفي آل عمران ﴿وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ﴾ [آل عمران: ٢١].

الخامس: إبدال حرف بحرف غيره كقوله تعالى في البقرة: ﴿وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣٥﴾ البقرة: ٣٥ سمح ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا سجى [البقرة: ٣٥] بالواو وفي الأعراف: {فكلا} بالفاء.

السادس: إبدال كلمة بأخرى: في البقرة: ﴿ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۗ ﴾ [البقرة: ١٧٠]، وفي لقمان: {وجدنا}.

الثامن: الإدغام وتركه في النساء والأنفال: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ ﴾[النساء: ١١٥]، وفي الحشر بالإدغام(١).

ثالثًا: فوائد المتشابه اللفظي:

١. يسهم في دحض شبهات المشككين والملحدين الذين يتخذون المتشابه سهامًا يوجهونها إلى القرآن الكريم.

٢. يزيد من تعلق النفوس بالقرآن الكريم ودفعها إلى تأمله وتدبره للوقوف على أسراره وحكمه.

٣. يزيد القارئ إيمانًا بعظمة القرآن الكريم وعظمة من أنزله.

٤. يسهم بشكل كبير في حفظ وإتقان القرآن الكريم خاصة ما تشابه منه.

رابعًا: تعريف الإبدال

أ- تعريف الإبدال لغة: التغيير والتحويل:

(١) ينظر، الزركشي، مرجع سابق، (١/١١٢-١٣٢).

قال الراغب: «الإبدال والتَّبديل والتَّبَدُّل والاستبدال: جعل شيء مكان آخر، وهو أعمّ من العوض، فإنّ العوض هو أن يصير لك الثاني بإعطاء الأول، والتبديل قد يقال: للتغيير مطلقا وإن لم يأت ببدل»(١).

وحقيقته هو: «أن التبديل تغيير الصورة إلى صورة أخرى، والجوهرة بعينها، والإبدال: تنحية الجوهرة، واستئناف جوهرة أخرى»(٢).

والتبديل بمعنى التحويل والتغيير قد ورد في القرآن الكريم في مواطن متعددة منها: قوله: ﴿ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعۡدَ مَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثۡمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓۚ ﴾ [البقرة: ١٨١]. وقوله: ﴿ يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾ [إبراهيم: ٤٨]. وقوله: ﴿ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ﴾ [التوبة: ٣٩].

قال الكفوي: "الإبدال: هو رفع الشيء ووضع غيره مكانه والتبديل: قد يكون عبارة عن تغيير الشيء مع بقاء عينه، يقال: (بدلت الحلقة خاتمًا): إذا أدرتهما وسويتها ومنه: ﴿ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ

(١) الأصفهاني، «المفردات في غريب القرآن»، (ص١١١).
(٢) الزبيدي، «تاج العروس»، (٦٤/٢٨).

حَسَنَٰتٍ ﴾ [الفرقان: ٧٠]، وقد يكون عبارة عن إفناء الذات الأولى وإحداث ذات أخرى، كما تقول: (بدلت الدراهم دنانير) ومنه: ﴿بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴾[النساء: ٥٦]"(١).

ب–تعريف الإبدال اصطلاحًا:

أمّا تعريفه اصطلاحًا فلم أقف على من صاغ له تعريفًا اصطلاحيًا.

والمعلوم أن المقصود بالإبدال هنا هو الإبدال الذي يُعد نوعًا من أنواع المتشابه اللفظي، ويمكن للباحث صياغة تعريف له: هو جعل حرف مكان حرف، أو لفظ مكان لفظ، أو جملة مكان جملة في الآيات المتشابه في أغلب ألفاظها.

أو هو: اتفاق الآيتين أو الآيات في أغلب الألفاظ واختلافها في بعض بسبب الإبدال.

أنواعه:

نستطيع من التعريف السابق استخراج أنواع الإبدال وهي تتلخص في الآتي:

١- إبدال حرف مكان حرف. ومثال: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ ﴾[البقرة: ٣٤]، ﴿ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ ﴾ [الأعراف: ١١]، فالإبدال وقع بين الواو وثم.

(١) الكفوي، «الكليات»، (ص٣١).

٢- إبدال لفظ مكان لفظ. مثل: ﴿أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾[الإسراء: ٩]، ﴿أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾[الكهف: ٢]، فالإبدال وقع بين لفظة (كبيرًا) ولفظة (حسنًا).

٣- إبدال جملة مكان جملة. مثل:﴿فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾[الإسراء: ٢٢]،﴿فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء: ٣٩] وقع الإبدال بين (مذموما مخذولا) وملومًا مدحورًا).

أهميته:

الإبدال نوع مهم من أنواع المتشابه اللفظي، ولأهميته حظي بعناية واهتمام كثير من العلماء فأورده الكثير من العلماء تحت باب المتشابه اللفظي، فقد ذكره العلامة أبو القاسم الكرماني في مقدمة كتابه "البرهان في متشابه القرآن"(١) . وأفرد له العلامة ابن الجوزي في كتابه فنون الأفنان في علوم القرآن بابًا عنون له بـ(باب إبدال كلمة بكلمة أو حرف بحرف من المتشابه)(٢) ، وأورده العلامة بدر الدين الزركشي في كتاب "البرهان في القرآن" وعنون له بـ"النوع الخامس من علوم القرآن"(٣)، واعتنى به العلامة جلال الدين السيوطي وأورده في كتابه "الإتقان في علوم القرآن" وعنون له بـ" النوع بالثالث

(١) الكرماني، «أسرار التكرار في القرآن»، (ص٦٤):

(٢) ابن الجوزي، «فنون الأفنان في عيون علوم القرآن»، (ص٤٢٠).

(٣) الزركشي، مرجع سابق، (١/ ١١٢).

والستون: في الآيات المتشابهات"(١) ولم تقتصر العناية بالإبدال على هؤلاء العلماء بل اعتنى به أيضًا المفسرون والبلاغيون وغيرهم من العلماء الذين جعلوا النظم القرآني محط أنظارهم.

ويرجع هذا الاهتمام البالغ من العلماء بهذا النوع من المتشابهة إلى أن القرآن الكريم مجال خصب له، والعناية به تكشف لنا عن جمال التعبير القرآني، ودقته في استعمال الحروف، وانتقاء الألفاظ والجمل، ونظمها في مواطنها المناسبة، بحيث لو يمم أحد وجهه شطر اللغة على سعتها باحثًا عن حرف أو لفظة ينوب عنها لرجع وهو حسير، ولو رام استبدال حرف أو لفظ بآخر لفسد النظم، وذهبت روعته، واختل جماله؛ لأن القرآن عندما يستخدم حرفًا أو لفظًا بعينه فذلك إنما يرجع إلى أهمية هذا الحرف أو هذا اللفظ في بناء النص القرآني بناءً دقيقًا يضفي معاني جليلة مقصودة، آية في الجمال، وغاية في الدلالة.

ويأمل الباحث أن تُظهر المباحث الآتية بعضًا من تلك الإشارات.

المطلب الأول: إبدال حرف بحرف:

الموضع الأولى:

قوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ ﴾ [الإسراء: ٦١].

(١) السيوطي، «الإتقان في علوم القرآن» (٣/٣٩٠).

وقوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾﴾ [الأعراف: ١١].

موضوع التشابه:

وقع التشابه بالإبدال هنا بين حرف (الواو، وثم) ففي قوله تعالى: (وإذ قلنا) بالإسراء، جاء العطف بحرف الواو وفي قوله تعالى: (ثم قلنا) بالأعراف جاء العطف بـ(ثم).

التوجيه:

جاء العطف في آية سورة الإسراء في قوله تعالى﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ﴾ [الإسراء: ٦١]، بحرف الواو؛ لأن الآية معطوفة على القصص التي سبقت، وتقدير الكلام: واذكر يا محمد إذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم.

أمّا آية سورة الأعراف فقد جاء العطف فيها بـ(ثم) في قوله تعالى ﴿ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ﴾[الأعراف: ١١] وثم تفيد التراخي الرتبي؛ لأن الآية معطوفة على قوله (ولقد خلقناكم ثم صورناكم)، ومن تأمل الآيات اتضح له: أن الترتيب الطبيعي هو: أن الخلق يأتي في الصدارة، (ولقد خلقناكم)، وفي المرتبة الثاني يأتي التصوير (ثم صورناكم) وثم يأتي السجود الذي هو أرقى وأعلى وأكمل منهما في المرتبة الثالثة (ثم قلنا للملائكة اسجدوا)، فلما أن كان ذلك كذلك جاء العطف بـ (ثم)

التي تفيد التراخي الرتبي لا التراخي الزماني؛ لأن مضمون الجملة المعطوفة وهي (ثم قلنا للملائكة اسجدوا)، أرقى رتبة من مضمون الجملة المعطوف عليها وهي (ولقد خلقناكم ثم صورناكم)[1].

الموضع الثاني:

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ ﴾ [الكهف: ٥٧].

وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾ [السجدة: ٢٢].

موضع التشابه: وقع التشابه بالإبدال هنا بين حرف (الواو، وثم) ففي سورة الكهف في قوله تعالى: (فأعرض عنها) جاء العطف بحرف الواو وفي سورة السجدة في قوله تعالى: (ثم أعرض عنها) جاء العطف بـ(ثم).

التوجيه:

علة العطف في آية سورة الكهف بحرف (الفاء)، والعطف في آية سورة السجدة بـ(ثم)، هي المناسبة التي يقتضيها السياق القرآني؛ فمن تأمل النص القرآني تبين له أن للسياق دور مهم في الوصل بين الجمل، وفي تعيين حروف العطف المناسبة.

(١) ابن عاشور، «التحرير والتنوير»، (٣٨/٨).

فإذا تأملنا قوله تعالى في سورة الكهف ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴾ [الكهف: ٥٧]، تبين لنا أن سياق الآية في الحديث عن الكفرة الأحياء المعاندين المكابرين الرافضين لقبول الإيمان؛ وهؤلاء كان ديدنهم الإعراض المباشر فور تذكيرهم بالآيات، بحيث لا يعطون أنفسهم وقتًا للتفكر والتأمل في ما ذُكِّروا به، وهذا هو السر الذي يكمن وراء العطف بالفاء في هذا الموضع؛ لأن الفاء تفيد التعقيب، والتعقيب هو المناسب لسياق الآية الكريمة ليصور حال هؤلاء المعرضين أدق تصوير.

وأمّا آية السجدة وهي قوله تعالى﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾، فهي تخبر عن الكفرة الذين استمروا على الإعراض عن الآيات التي يذكَّرون بها مرارًا حتى فاجئهم الموت وهم على ما هم فيه من إعراض، ويؤيد ذلك قوله تعالى﴿ وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ ﴾ [السجدة: ٢٠، ٢١]؛ وقوله (وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ...) لذا فإن حرف العطف المناسب للسياق هو (ثم) التي تفيد التراخي؛ لأن القصد من الآية الإخبار عن موقهم على إعراضهم بعدما كرر عليهم التذكير بالآيات حتى ماتوا على ذلك، والعطف

بـ(ثم) يعطي لنا تصورًا دقيقًا لحالة هؤلاء الذين ذُكِّروا بالآيات مرارًا مرّة بعد أُخْرَى وزمانا بعد زمَان مدة أعمارهم، إلا أنهم لم يرعووا واستمروا على إعراضهم حتى فاجئهم الموت وماتوا على ذلك[1].

الموضع الثالث:

وقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴾ [الكهف: ٦١]. وقوله تعالى: ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴾ [الكهف: ٦٣]

موضع التشابه: وقع التشابه بالإبدال هنا بين حرف (الفاء) وحرف (الواو)، ففي سورة الكهف في قوله تعالى: (فاتخذ سبيله) جاء العطف بحرف (الفاء)، وفيها أيضًا في قوله تعالى: (واتخذ سبيله) جاء العطف بـ(بالواو).

التوجيه: الآية الأولى جاء العطف فيها بالفاء﴿ فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴾ [الكهف: ٦١]؛ لأن اتخاذ الحوت سبيله في البحر كان عقيب النسيان مباشرة، لذا ناسب أن يكون العطف فيها بالفاء التي تفيد العطف والتعقيب.

(١) ينظر، الغرناطي، «درة التنزيل وغرة التأويل» (٨٧٦/١، الكرماني، مرجع سابق، (ص١٧٠)، الفيروزآبادي، «بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز» (٣٠١/١، القنوجي، «فتح البيان في مقاصد القرآن» (٧٢/٨).

أمّا الآية الثانية فقد جاء العطف فيها بالواو ﴿ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴾[الكهف: ٦٣]؛ لأن اتخاذ الحوت سبيله في البحر لم يكن عقيب النسيان مباشرة؛ وذلك للحيلولة بَينهمَا بقوله:﴿ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ﴾ لذا ناسب ذلك العطف بالواو التي تفيد العطف المجرد(١).

المطلب الثاني: إبدال لفظ بلفظ:

الموضع الأول:

قوله تعالى:﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ ﴾ [الإسراء: ١٨].

وقوله تعالى﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴾ [الإسراء: ٢٢].

موضع التشابه: وقع التشابه بالإبدال بين لفظة (مدحورًا) ولفظة (مخذولا) في سورة الإسراء ففي قوله تعالى (يصلاها مذمومًا مدحورًا) جاء التعبير بلفظة (مدحورًا)، وفي قوله تعالى: (فتقعد مذمومًا مخذولاً) جاء التعبير بلفظة (مخذولاً).

التوجيه: جاء في الآية الأولى وهي قوله تعالى:﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴾ [الإسراء: ١٨]، التعبير بكلمة

(١) ينظر: الفيروز آبادي، «بصائر ذوي التمييز» (٣٠١/١)، الكرماني، «غرائب التفسير وعجائب التأويل» (٦٦٦/١-٦٦٧).

(مدحورًا)، وهي من الدحر: وهو الطرد والإبعاد من رحمة الله تعالى[١] ، وهي كلمة تناسب سياق الآية؛ لأن الآية جاءت في الحديث عن مصير الذين آثروا الحياة الدنيا على الآخرة، فبيّنت: أن من فعل ذلك فقد وجبت له النار، ومن وجبت له النار فهو من المدحورين أي: المطرودين من رحمة الله تعالى، فتذييل الآية بكلمة (مدحورًا) جاء مناسبًا وملائمًا لسياقها.

ومعنى الآية: من كان يريد العاجلة (يعني الدنيا) أي: الدار العاجلة، ولها يعمل ويسعى، وإياها يبتغي (عجلنا له فيها ما نشاء) من البسط والتقتير (لمن نريد ثم جعلنا له): في الآخرة (جهنم يصلاها): يدخل نارها (مذموما مدحورًا): مذمومًا على قلة شكره إيانا، مطرودًا من الرحمة، مبعدًا مقصيًّا في النار[٢]

أمّا **الآية الثانية وهي قوله تعالى** ﴿ لَّا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقۡعُدَ مَذۡمُومٗا مَّخۡذُولٗا ﴾ **[الإسراء: ٢٢]. فقد جاء التعبير فيها بكلمة (مخذولا)**؛ وهي: اسم مفعول من خذل، وخَذَلَهُ أي: ترك عونَه ونُصْرَتَهُ، فالمخذول: هو الذي لا عاصم له ولا ناصر[٣]، وهذه الكلمة جاءت مناسبة للسياق الواردة فيه؛ لأن الآية تبين حال المشرك في الدنيا، إثر النهي عن الإشراك بالله تعالى، وقد ناسب ذلك أن يكون تذييل هذه الآية كلمة (مخذولا) والمخذول هو المتروك إعانته ونصره والمفوض إلى نفسه. وهذا يتناسب مع من يجعل مع الله تعالى إلاهًا آخر؛ لأنه: «لما أثبت شريكًا لله تعالى

(١) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، (٢/ ٣٢٤)، الألوسي، روح المعاني، (٨/ ٤٥).

(٢) الطبري، «جامع البيان»، (١٧/٤٥٢).

(٣) ينظر، الجوهري، «الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية»، (٤/١٦٨٣٤٤)، الواحدي، «التفسير البسيط»، (١٣/٢٩٥).

استحق أن يفوض أمره إلى ذلك الشريك، فلما كان ذلك الشريك معدومًا بقي بلا ناصر ولا حافظ ولا معين. وذلك عين الخذلان» (١).

والمعنى: لا تجعل -أيها المخاطب- مع الله -تعالى- إلها آخر في عبادتك أو خضوعك، فتقعد جامعًا على نفسك مصيبتين: مصيبة الذم من الله -تعالى- ومن أوليائه، لأنك تركت عبادة من له الخلق والأمر، وعبدت ما لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا، ومصيبة الخذلان، بحيث لا تجد من يعينك أو ينصرك، في ساعة أنت أحوج ما تكون فيها إلى العون والنصر (٢).

قال الإمام الرازي: «وأما الفرق بين المخذول وبين المدحور، فهو أن المخذول هو الضعيف، يقال: تخاذلت أعضاؤه، أي: ضعفت، والمدحور هو المطرود، والطرد عبارة عن الاستخفاف والإهانة، فكونه مخذولا عبارة عن ترك إعانته، وتفويضه إلى نفسه، وكونه مدحورًا عبارة عن إهانته، فيصير أول الأمر مخذولا وآخره يصير مدحورًا» (٣).

الموضع الثاني: قوله تعالى ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ [الإسراء: ٢٩]. وقوله تعالى ﴿ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴾ [الإسراء: ٣٩]

(١) ابن عادي، «اللباب في علوم الكتاب»، (٢٤٦/١٢).

(٢) طنطاوي، «الوسيط لطنطاوي»، (٣٢٣/٨).

(٣) الرازي، «مفاتيح الغيب»، (٣٤٤/٢٠).

التشابه اللفظي بالإبدال وأغراضه

موضع التشابه:

وقع التشابه بالإبدال بين لفظة (محسورًا) ولفظة (مدحورًا) في سورة الإسراء، ففي قوله تعالى (فتقعد ملومًا محسورًا) جاء التعبير بلفظة (محسورًا)، وفي قوله تعالى: (فتلقى في جهنم ملومًا مدحورًا) جاء التعبير بلفظة (مدحورًا).

التوجيه:

جاء في الآية الأولى وهي قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٩] التعبير بكلمة (محسورًا)، وهي اسم مفعول من حسر الثلاثي، والحسر كشف الملبس عما عليه، يقال: حسرت عن الذراع: أي كشفته ، فالمحسور هنا هو: هو أن يبسط يده في إنفاقه حتى لا يبقى معه ما يقتاته. فيبقى منقطعًا لا شيء عنده ينفقه [(١)].

والمتأمل في الآية يتبين له: أنها تنهى عن أمرين: التقتير والإسراف في الإنفاق؛ لذا جاء التذييل المناسب لسياقها (ملوما محسورًا)، أي: ملومًا إذا أمسك عن الإنفاق، ومحسورًا إذا أنفق جميع ما عنده، فقد جاء قوله تعالى﴿ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ «جَوَابًا لِكِلَا النَّهْيَيْنِ عَلَى التَّوْزِيعِ بِطَرِيقَةِ النَّشْرِ الْمُرَتَّبِ، فَالْمَلُومُ يَرْجِعُ إِلَى النَّهْيِ عَنِ الشُّحِّ، وَالْمَحْسُورُ يَرْجِعُ إِلَى النَّهْيِ عَنِ التَّبْذِيرِ، فَإِنَّ الشَّحِيحَ مَلُومٌ مَذْمُومٌ» [(٢)].

---

(١) ينظر، القيرواني، «الهداية الى بلوغ النهاية»، (٦/٤١٨٦)، الواحدي «الوجيز»، (ص٦٣٣)، الكلبي، «التسهيل لعلوم التنزيل» (١/٤٤٥).

(٢) ابن عاشور، مرجع سابق، (١٥/٨٥).

ومعنى الآية: «{وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ} أَيْ: لَا تَكُنْ بَخِيلًا مَنُوعًا، لَا تُعْطِي أَحَدًا شَيْئًا، {وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ} أَيْ: وَلَا تُسْرِفْ فِي الْإِنْفَاقِ فَتُعْطِيَ فَوْقَ طَاقَتِكَ، وَتُخْرِجَ أَكْثَرَ مِنْ دَخْلِكَ، فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا: فَتَقْعُدَ إِنْ بَخِلْتَ مَلُومًا، يَلُومُكَ النَّاسُ وَيَذُمُّونَكَ، وَمَتَى بَسَطْتَ يَدَكَ فَوْقَ طَاقَتِكَ، قَعَدْتَ بِلَا شَيْءٍ تُنْفِقُهُ، فَتَكُونَ كَالْحَسِيرِ، وَهُوَ: الدَّابَّةُ الَّتِي قَدْ عَجَزَتْ عَنِ السَّيْرِ، فَوَقَفَتْ ضَعْفًا وَعَجْزًا»[1]

أما في الآية الثانية: وهي قوله تعالى﴿ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴾ [الإسراء: ٣٩] فقد جاء التعبير فيها بكلمة (مدحورًا) ومعنى مدحورًا: مطرودً من رحمة الله. وتذييل الآية بهذه الكلمة جاء مناسبًا لسياقها؛ لأن الآية تبين مآل المشركين إثر النهي عن الإشراك به تعالى، لذا ناسب أن يكون تذييلها (مدحورًا)؛ لأن مآل من أشرك مع الله غيره؛ هو الطرد والإبعاد عن رحمة الله. ومعنى الآية: «{وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا}. أي: ولا تشرك بالله في عبادتك فتلقى في جهنم ملومًا -تلومك نفسك وعارفوك من الناس-مُبْعدًا مقصيًا في النار»[2].

الموضع الثالث: قوله تعالى:﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: ٩].

(١) ابن كثير، «تفسير القرآن العظيم»، (٥/٧٠).

(٢) الطبري، مرجع سابق، (١٧/٤٥٢).

وقوله تعالى: ﴿قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ [الكهف: ٢].

موضع التشابه:

وقع التشابه بالإبدال بين لفظة (كبيرًا) ولفظة (حسنًا) ففي سورة الإسراء في قوله تعالى (أن لهم أجرًا كبير) جاء التعبير بلفظة (كبيرًا) وفي سورة الكهف في قوله تعالى: (أن لهم أجرًا حسنًا) جاء التعبير بلفظة (حسنًا).

التوجيه:

إذا تأملنا في قوله تعالى ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩]، وقوله تعالى: ﴿قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ [الكهف: ٢]، تبين لنا: أن الآيتين تتحدثان عن جزاء المؤمنين، فالأولى بيّنت أن الجزاء هو: (أن لهم أجرًا كبيرًا)، والثانية بيّنت أن الجزاء هو: (أن لهم أجرًا حسنًا)، وقد بيّن المفسرون – رحمه الله تعالى – أن الأجر الكبير، والأجر الحسن في الآيتين هو: الجنة[1]، وأمّا الكبير والحسن فمن أوصافها.

(١) ينظر: القرطبي، «الجامع لأحكام القرآن»، (١٠/٢٢٥)، النسفي، «مدارك التنزيل وحقائق التأويل»، (٢/٢٤٧)، الخازن، «لباب التأويل في معاني التنزيل»، (٣/١٢٤).

وعليه إذا كان الأجر في الآيتين هو الجنة فما علة تذييل آية الإسراء بقوله: (كبيرًا)، وآية الكهف بقوله: (حسنًا)؟

الجواب:

إن علة تذييل آية سورة الإسراء بقوله تعالى: (كبيرًا)؛ لموافقة فواصل الآي قبلها وبعدها، وهي(حصيرًا) [الإسراء:٨] (أليمًا) [الإسراء:١٠]، (عجولاً)[الإسراء:١١].

أمّا علة تذييل آية سورة الكهف بقوله تعالى: (أجرًا حسنًا) لموافقة لفواصل الآي قبلها وبعدها وهي (عوجًا)[الكهف:١]، (أبدًا)[الكهف:٣]، (ولدًا) [الكهف:٤]، وجلها قبل آخرها متحرك [١].

الموضع الرابع: قوله تعالى:﴿ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾ [الإسراء: ٧٥]

وقوله تعالى:﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴾ [الإسراء: ٨٦]

موضع التشابه: وقع التشابه بالإبدال بين لفظة (نصيرًا) ولفظة (وكيلا) في سورة الإسراء ففي قوله تعالى (ثم لا تجد لك علينا نصيرًا) جاء التعبير بلفظة (نصيرًا)، وفي قوله تعالى (ثم لا تجد لك به علينا وكيلاً) جاء التعبير بلفظة (نصيرًا).

(١) ينظر: الكرماني، «أسرار التكرار في القرآن»، (ص١٦٣).

التوجيه: الآية الأولى وهي قوله تعالى:﴿ إِذًا لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾ [الإسراء: ٧٥]: ذيلت بقوله﴿ نَصِيرًا ﴾ وهو تذييل مناسب لسياقها؛ لأن النصير: هو الناصر المخلص من الغلبة، والإنسان عندما ينزل به مكروه يلجأ إلى ناصر يخلصه مما نزل به، وموضوع الآيات في هذا الشأن، إذ من تامل الآيات السابقة لهذه الآية[1] ظهر له أنه تذكر أن المشركين هموا بفتنة النبي -صلى الله عليه وسلم-، ولكن الله تعالى ثبّته وعصمه من كيدهم، ولولا ذاك لمال النبي -صلى الله عليه وسلم- إليهم قليلاً، ولو مال النبي -صلى الله عليه وسلم- إليهم لناله عقاب الله تعالى المذكور في قوله تعالى﴿ إِذًا لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾ أي: لأذقناك ضعف عذاب الدنيا وضعف عذاب الآخرة ثم ذيلت الآية بقوله﴿ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾ أي: لو ملت إليهم لا تجد من ينتصر لك، فيصدنا عن إلحاق ذلك بك، أو يثأر لك منا.

إذًا فلما جاء في الآية ما يستدعي النصر جاء تذييلها بقول﴿ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾ ، ليناسب سياقها؛ لأن الآية تتكلم في إنزال العقوبة به، والمعلوم أن دفعها يُعد نصرًا.

(١)﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا (٧٣) وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا (٧٤) إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾[الإسراء: ٧٣-٧٥].

أمّا الآية الثانية وهي قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴾ [الإسراء: ٨٦]،

فقد ذيلت بقوله﴿ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴾ وهو تذييل مناسب لسياقها؛ لأن الله سبحانه قال فيها﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾ أي: لو شئنا لمحونا القرآن من الصدور والسطور فلم نترك له أثرًا ﴿ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴾ أي: ثم لا تجد لك به علينا وكيلاً، أي: من تتوكل عليه في ردّ القرآن إليك.

فتذييل الآية (بوكيل) جاء مناسب لسياقها، ولا يصلح لها غيره؛ لأن المطالبة بما فُقد يكون عن طريق وكيل يقوم بالمتابعة والمطالبة به(١).

مما سبق يتضح لنا أن كل آية ختمت وذيلت بما يلائمها، ولا يصلح ختام آية لغيرها.

الموضع الخامس: قوله تعالى:﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: ٣١]

وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ ﴾ [الانعام: ١٥١].

(١) ينظر: الإسكافي، «درة التنزيل وغرة التأويل»، (٨٦٦/١)، الغرناطي، «ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل»، (٣١٥/٢)، ابن عاشور، «التحرير والتنوير»، (٢٠١/١٥).

التشابه اللفظي بالإبدال وأغراضه

موضع التشابه:

وقع التشابه بالإبدال بين لفظة (خشية) ولفظة (من) ففي سورة الإسراء فقوله تعالى (خشية إملاق) جاء التعبير بفظة (خشية) وفي سورة الإنعام في قوله تعالى: (من إملاق) جاء التعبير بفظة (من).

التوجيه: في الآية الأولى: وهي قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء:٣١] جاء التعبير فيها بقوله تعالى (خشية إملاق)، والخشيةُ هي: الخوفُ، يقال: خشي الرجل يخشى خشيةً، أي: خاف، والخشية: توقّع المضرّة[١]. و(إملاق): مصدر من قول القائل: "أملقت من الزاد، فأنا أملق إملاقًا"، وذلك إذا فني زاده، وذهب ماله، وأفلس[٢]. إذًا فمعنى "خشية إملاق": أي خوف فقر.

وعلة التعبير بها هنا؛ لأن الخطاب فيها للأغنياء الذين يخافون أن يحلّ بهم الفقر بسبب أبنائهم، فنهاهم الله تعالى عن قتلهم بقوله (ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق)، وهذا التعبير الذي جاء منسجمًا مع السياق القرآني، والمعني: ولا تقتلوا أولادكم خوف فقر يحل بكم بسببهم، إذًا فالإملاق هنا غير متحقق، وزمنه في أذهانهم مستقبل، فهم خافوا من وقوعه مستقبلاً فقتلوا أولادهم فنهاهم الله تعالى عن ذلك.

---

(١) ينظر: ابن منظور، «لسان العرب» (٢٢٨/١٤)، ابن فورك، "تفسير ابن فورك (١٤٠/٣).

(٢) ينظر: الطبري جامع البيان، (١٢/ ٢١٧).

أمّا الآية الثانية وهي وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ ﴾ [الانعام:١٥١]. فجاء التعبير فيها بقوله (من إملاق)؛ لأنها تخاطب قومًا قد تحقق فيهم الفقر، فنهاهم الله تعالى عن قتل أولادهم بقوله (ولا تقتلوا أولادكم من إملاق): أي: ولا يحملنكم الفقر الكائن بكم على قتل أولادكم.

إذا فقوله: (ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق): أي خوف فقر متوقع، وقوله (ولا تقتلوا أولادكم من إملاق): أي بسبب الفقر الكائن بكم[(١)].

الموضع السادس:

قوله تعالى﴿ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾ [الإسراء: ٦١].

وقوله تعالى﴿ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ [الحجر: ٣٣].

موضع التشابه: وقع التشابه بالإبدال بين لفظة (طينًا) ولفظة صلصال، ففي سورة الإسراء في قوله تعالى: (خلقت طينًا) جاء التعبير بلفظة (طينًا)، وفي سورة الحجر في قوله تعالى: (خلقته من صلصال) جاء التعبير بلفظة (صلصال).

(١) ينظر: ابن جماعة، «كشف المعاني في المتشابه من المثاني» (ص١٦٩)، القزويني، «الإيضاح في علوم البلاغة»، (ص١٦٧).

التوجيه: أولا: علة ذكر الصلصال في سورة الحجر:

١- لأنه تقدم ذكره في قوله تعالى﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ [الحجر: ٢٨]، فناسب إعادة ذكره في معرض تبرير إبليس امتناعه عن السجود لأدم عليه السلام، موهمًا حسب اعتقاده شرف المادة التي خلق منها هو، ومهانة المادة التي خلق منها آدم عليه السلام.

٢- إن الله تعالى لما قال في خلق إبليس﴿ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴾ ناسب أن يقول في خلق آدم عليه السلام﴿ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ [الحجر: ٣٣]، ليتناسق النظم وتتناسب معانيه، فإن الصلصال يقابل النار، فالطين إذا وضع في النار جف وسمع له صوت وهو الصلصلة، وقد جاءت هذه المقابلة في ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴾[(١)]، [الرحمن:١٤-١٥].

(١) ينظر: المطعني، «خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية»، (٣٥٤/١).

ثانيًا: أمّا علة ذكر الطين في سورة الإسراء:

١- الاختصار الذي اتسمت به سورة الإسراء في ذكر قصة آدم وإبليس، فكان من المناسب لهذا الاختصار، الاقتصار على ذكر أصل المادة التي خلق منها آدم عليه السلام، والتي علل بها إبليس امتناعه عن السجود له، وهي الطين.

٢- إن سورة الإسراء نزلت قبل الحجر(١)، والطين سابق في الوجود على الصلصال، فناسب ذكر الطين في سورة الإسراء لتقدمها في النزول على سورة الحجر.

٣- إن سياق سورة الإسراء لم يقتض ذكر أي مرحلة من مراحل خلق آدم عليه السلام، فناسب ذلك الاقتصار مرحلة الخلق من الطين؛ لأن من أهداف القصة التسلية للرسول الله صلى الله عليه وسلم، وبيان أن ما حلّ به صلى الله عليه وسلم من تكذيب قومه له قد حلّ برسل من قبله وعلى رأسهم آدم عليه السلام، وأيضًا بيان أن العلة الجامعة بين هؤلاء المكذبين جميعًا هي الكبر والحسد(٢).

(١) ينظر: «البرهان في علوم القرآن» (١/ ١٩٤)، الأبياري، «الموسوعة القرآنية» (٣/ ١٧٥)، الديار، حسين بن محمد بن الحسن الدِّيار بَكْري، (ت٩٦٦هـ) «تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس»، (١٠/١)، دار صادر –بيروت الطبعة.

(٢) ينظر: الرازي، «مفاتيح الغيب»، (٣٦٥/٢١).

التشابه اللفظي بالإبدال وأغراضه

الموضع السابع: قوله تعالى﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴾ [الكهف: ٣٥-٣٦].

وقوله تعالى﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ [فصلت: ٥٠].

موضع التشابه:

وقع التشابه بالإبدال بين لفظة (رددت) ولفظة (رجعت)، ففي سورة الكهف في قوله تعالى: (رددت إلى ربي) جاء التعبير بلفظة (رددت) وفي سورة فصلت في قوله تعالى: (رجعت إلى ربي) جاء التعبير بلفظ (رجعت).

التوجيه:

جاء التعبير في آية سورة الكهف بلفظ (رددت إلى ربي) بينما جاء التعبير في سورة فصلت بلفظ (رجعت إلى ربي)، وللوقوف على السر في تخصيص كل سورة بما جاء فيها يجدر بنا بيان معنى (الرد) و(الرجع).

بالرجوع إلى المعاجم اللغوية يتبين لنا: أن للرد والرجع معان متعددة، ومن هذا المعاني أنهما يستعملان في: إرجاع الشيء إلى حاله أو مكانه أو صفته[١]، وقد فرق بينهما العلامة العسكري تفريقًا دقيقًا فقال: "يجوز أن ترجعه من غير كراهة له قال الله تعالى﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ ﴾ [التوبة: ٨٣] "ولا يجوز أن ترده إلا إذا كرهت حاله، ولهذا يسمى البهرج ردًا ولم يسم رجعًا، هذا أصله ثم ربما استعملت إحدى الكلمتين موضع الأخرى لقرب معناهما"[٢].

من هذا التفريق نستطيع أن نقول: إن الرد لا يكون إلا مع الكراهة، وقد جاء ذلك في آيات كثيرة منها: قال تعالى﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ﴾[البقرة: ٨٥]، ﴿ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴾ [الكهف: ٨٧]، وغيرها.

أمَا الرجوع: فيكون مع الكراهة وبدونها، وقد فصّل الدكتور/ فاضل السامرائي هذا التفريق أيضًا فقال:" لو قلت: رجع فلان إلى بلده معناه رجع بشكل طبيعي وعلى رغبته بعد السفر وقد كان يعلم أنه سيرجع، أمّا رُدَّ تعني أن هناك مشكلة: إما أكرهوه على هذا، أو غير مرغوب فيه[٣] .

بعد هذا التفريق الواضح بين اللفظتين نستطيع الوقوف على سر اختصاص سورة الكهف بلفظة (رددت) وسورة فصلت بلفظة(رجعت)، وذلك من خلال التأمل في سياق كل سورة.

(١) ينظر: ابن فارس، مرج سابق، (٢/٤٩٠)، الفيروزآبادي، «القاموس المحيط»، (ص٧٢٠).

(٢) العسكري: «معجم الفروق اللغوية»، (ص٢٤٩).

(٣) ينظر: موقع تدارس القرآن ٣٤٠٣/https://tadars.com/tdbr/eloquence

أولا: سورة الكهف إذا تأملنا في الآيات التي تسبق هذه الآية تبين لنا: أنها تتحدث عن رجل يملك جنتين في غاية الحسن الجمال وهو يعتقد أن الجنتين لا تبيدان أبدًا، ومن كانت هذه حالته فلا شك أن انتقاله عنها إلى غيرها يكون عن غير رغبة منه، لذا فإن فجاء التعبير بلفظة (رُددت) التي تتضمن كراهية الرد عن الجنتين لتناسب السياق الذي وردت فيه.

قال أبو عبد الله الأصبهاني: لما تقدّم من وصف الجنتين اللتين حوتا مراده، واشتملتا على ما أراده، وتقديره فيها أنهما يدومان له. والردّ عن الشيء يتضمن معنى كراهية للمردود تقول: قصد فلان فلاناً فرُدّ عنه، وقصد فلاناً فرجع عنه، فلمّا كان الأول ينقل عن جنته وهو خلاف محبّته كان استعمال اللفظ الذي يدل على الكراهية فيه أولى(١).

ثانيًا: أما في سورة فصلت فلما لم يتقدم ما يتضمن معنى الكراهية ناسب سياقها التعبير بكلمة (رجعت)؛ وبهذا يتبين لنا: أن كل لفظة قد جاءت في موضعها المناسب(٢).

الموضع الثامن:

قوله تعالى ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴾ [الكهف: ٧١].

(١) ينظر: الإسكافي، مرجع سابق، (٨٧٤/١).

(٢) ينظر: الإسكافي، مرجع سابق، (٨٧٤/١-٨٧٥)، الفيروز آبادي، «بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز»، (٣٠٠/١)، النيسابوري، «غرائب القرآن ورغائب الفرقان»، (٤٣١/٤)، ابن جماعة، مرجع سابق، (ص٢٤٠).

وقوله تعالى﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴾ [الكهف: ٧٤].

موضع التشابه:

وقع التشابه بالإبدال بين لفظة (إمرًا) ولفظة (نكرًا) في سورة الكهف، ففي قوله تعالى: (لقد جئت شيئًا إمرًا) جاء التعبير بلفظة (إمرًا) وفي قوله تعالى: (لقد جئت شيئًا نكرًا) جاء التعبير بلفظة (نكرًا).

التوجيه:

من تأمل الآيتين السابقتين تبين له: بأن القرآن الكريم عبّر في خرق السفينة بـ (شيئًا إمرًا)، وفي قتل الغلام بـ (شيئًا نكرًا) سر ذلك أن معنى (الإمر): العجب، والعجب قد يكون منكرًا وغير منكر، ويكون في الخير والشر، أمّا النكر: فهو ما يخرج عن المعروف في العقل أو الدين، وهو لا يكون إلا في الشر، وهو أشد نكارة من الإمر(١).

وقيل: الإمر والنكر: معناهما واحد: وهو الشيء المنكر، خلا أن نكرًا أشد وأعظم من إمرًا(٢).

(١) ينظر: الفيروزآبادي، «بصائر ذوي التمييز»، (٣٠١/١)، الرازي، «أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التنزيل»، (ص٣٠٤).

(٢) ينظر: النيسابوري، «المفردات في غريب القرآن» (ص٩٠)، البغوي، معالم التنزيل، (١٩٠/٥)، الواحدي، «التفسير البسيط» (١٤/ ٩٢).

وعليه فإن التعبير بـ(نكرًا) قد جاء مناسبًا لقتل الغلام، والتعبير بـ(إمرًا) قد جاء مناسبًا لخرق السفينة؛ لأن قتل الغلام أقبح وأشنع وأنكر من خرق السفينة؛ لأنه قتل محقق وقع فيه هلاك نفسٍ، أمّا خرق السفينة فلم يكن قتلاً محققًا إذ ربما لا يحصل الغرق فلم يقع فيه هلاك نفسٍ.

فضلاً عن أن قتل الغلام لا يمكن تداركه، وخرق السفينة يمكن تداركه بإصلاح ما تم إفساده.

لهذا ناسب التعبير بـ(نكرًا) مع قتل الغلام، ليعكس عظم الجرم الذي وقع فيه الخضر عليه السلام من وجهة نظر موسى عليه السلام، وناسب التعبير بـ(إمرًا) مع خرق السفينة؛ لأنه أقل شناعة وقبحًا من قتل الغلام، وبهذا يكون قد جاء كل على ما يلائم، ولا يحسن مجيء أحد الوصفين في مكان الآخر(١).

قال الإمام الرازي: «النكر أعظم من الإمر في القبح، وهذا إشارة إلى أن قتل الغلام أقبح من خرق السفينة؛ لأن ذلك ما كان إتلافًا للنفس؛ لأنه كان يمكن ألا يحصل الغرق، أمّا ها هنا حصل الإتلاف قطعًا فكان أنكر، وقيل: إن قوله: لقد جئت شيئا: إمرًا أي عجبًا، والنكر أعظم من العجب، وقيل: النكر ما أنكرته العقول ونفرت عنه النفوس، فهو أبلغ في تقبيح الشيء من الإمر».

قال الإمام المراغي: «وأتى هنا بقوله: (نكرًا) وهناك بقوله: (إمرًا)؛ لأن قتل الغلام أقبح من خرق السفينة؛ لأن هذا لم يكن إهلاكًا لنفس، إذ ربما لا يحصل الغرق، وفى هذا إتلاف النفس قطعًا، فكان أنكر»(٢).

المطلب الثالث: إبدال جملة بجملة:

(١) (٨٧٩/١) http://www.alfaseeh.com/vb/showthread.php?t=٤٣٠٩

(٢) المراغي، «تفسير المراغي»، (١٧٩/١٥).

الموضع الأول: قوله تعالى ﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴾ [الإسراء: ٢٢].

وقوله تعالى ﴿ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴾ [الإسراء: ٣٩]

وقع التشابه بالإبدال بين جملة (مذمومًا مخذولاً) وجملة (ملومًا مدحورًا)، في سورة الإسراء ففي قوله تعالى: (فتقعد مذمومًا مخذولا) جاء التعبير بـ (مذمومًا مخذولاً) وفي قوله تعالى: (فتلقى في جهنم ملومًا مدحورًا) جاء التعبير بـ (ملومًا مدحورًا).

ثانيًا: التوجيه:

الآية الأولى وهي قوله تعالى﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴾ ، تنهى عن الشرك، والثانية وهي قوله تعالى قوله تعالى﴿ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴾ **[الإسراء: ٣٩]**، أيضًا تنهى عن الشرك، إلا أن الأولى ذُيّلت بقوله تعالى﴿ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴾ **والثانية ذُيّلت بقوله تعالى**﴿ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾ ﴾ ، وسر الاختلاف يرجع إلى السياق الذي اقتضى أن تذيل كل آية بما ذيلت به.

فمن تأمل الآية الأولى تبين له أنها تنهى عن الشرك مبينةً عواقبه الوخيمة في الدنيا ومعناها:

«لا تجعل –أيها الإنسان –مع الله سبحانه شريكًا في ألوهيته وعبادته، ولكن أخلص له العبادة، وأفرد له الألوهة فإنه لا ربَّ غيره، ولا معبود سواه. إنّك إن تجعل معه إلهًا غيره، وتعبد معه سواه تصر ملومًا

على ما ضيّعت من شكر الذي أنعم عليك بنعمه، وشكر من لم يولك نعمة، مخذولًا لا ينصرك ربّك بل يكلك إلى من عبدته معه ممن لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا» [(١)].

إذًا فقوله (فَتَقْعُدَ مَذْمُوماً مَخْذُولًا)، بيان لآثار الشرك في الدنيا وهو الذم والخذلان، فهي تصور حال المشرك في الدنيا، وقد حط به الذم والخذلان، فقعد مهمومًا مستكينًا عاجزًا عن تحصيل الخيرات، ومن السعي في تحصيلها [(٢)].

أمّا الآية الثانية وهي قوله تعالى ﴿ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴾ فهي تبين عواقب الشرك في الآخرة، ومعناها: ولا تشرك بالله في عبادتك فتلقى في جهنم ملومًا-تلومك نفسك وعارفوك من الناس-مُبْعدًا مقصيًا في النار، فمن أشرك بالله فهو جدير باللوم والطرد من رحمته الله تعالى، في الآخرة لذا ناسب أن يكون تذييلها الآية ﴿ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴾ فهذان الوصفان أشنع من وصفي الذم والخذلان في الآية الأولى كما هي سنته تعالى أن يبدأ بالأخف تسليكاً لعباده[(٣)].

قال الإمام النيسابوري: «راعى في هذا التكرار دقيقة فرتب على الأول كونه مذمومًا مخذولاً وذلك إشارة إلى حال المشرك في الدنيا، ورتب على الثاني أنه يلقى في جهنم ملومًا مدحورًا وأنها حاله في الآخرة. وفي القعود هناك والإلقاء هاهنا إشارة إلى أن للإنسان في الدنيا صورة اختيار بخلاف الآخرة»[(٤)].

(١) المراغي، مرجع سابق، (٣٣/١٥).

(٢) ينظر، طنطاوي، «التفسير الوسيط»، (٣٢٣/٨)، الهروي، «تفسير حدائق الروح والريحان»، (٦٧/١٦).

(٣) ينظر، الطبري، مرجع سابق، (٤٥٢/١٧)، البقاعي، «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور»، (٤١٨/١١).

(٤) النيسابوري، «غرائب القرآن ورغائب الفرقان» (٤/ ٣٥٠).

«أما الفرق بين المذموم وبين الملوم، فهو أن كونه مذموما معناه: أن يذكر له أن الفعل الذي أقدم عليه قبيح ومنكر، فهذا معنى كونه مذموما، وإذا ذكر له ذلك فبعد ذلك يقال له لم فعلت مثل هذا الفعل، وما الذي حملك عليه، وما استفدت من هذا العمل إلا إلحاق الضرر بنفسك، وهذا هو اللوم فثبت أن أول الأمر هو أن يصير مذموما، وآخره أن يصير ملوما» (١).

الموضع الثاني:

قوله تعالى ﴿ وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسٗا ﴾ [الإسراء: ٨٣]

وقوله تعالى﴿ وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٖ ﴾ [فصلت: ٥١]

وقع التشابه بالإبدال بين جملة (كان يؤوسًا) في قوله تعالى: (وإذا مسه الشر كان يؤوسًا) في سورة الإسراء، وجملة (فذو دعاء عريض)، في قوله تعالى: (وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض) في سور فصلت.

التوجيه:

المتأمل في الآيتين السابقتين يتبن له أن آية الإسراء ذيلت بقوله ﴿كَانَ يَـُٔوسٗا﴾وآية فصلت ذيلت بقوله﴿ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٖ ﴾، رغم أن الآيتين اتفقتا في البداية، ومن قرأ الآيتين دون فهم قد يزعم من أول وهلة أن في القرآن الكريم تناقضًا، وتكرارًا بلا فائدة، وليس كذلك، إذ ليس في القرآن تكرار

(١) الخازن، مرجع سابق، (١٣١/٣).

بلا فائدة، ولا تناقض بين آياته، ومن أعمل عقله في النصوص التي أشكلت عليه لما ادّعي هذا. وقد أجاب علماؤنا الأفاضل عن هذا بعدة أجوبة إليك بيانها:

قال السيوطي:" ومما استشكلوه قوله تعالى في سورة سبحان: (وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا)، وفي سورة فصلت: (وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ)، ومن لوازم الإياس نفي مطلق الدعاء، وأثبته في سورة فصلت"[1].

١-إن الدعاء العريض في أول الأمر، والإياس في ثاني الحال.

٢-إن آية الإسراء وصفُ للجنس باعتبار بعضِ أفرادِه ممن هو على هذه الصفةِ، وآية فصلت في بعضٍ آخرين منهم.

٣-أو المعنى: يئوس قَنُوط بالقلب دَعَّاء باللِّسان.

٤-أن الدُّعاءُ مذكور في الآيتين، وهو {لاَّ يَسْأَمُ الإنسان مِن دُعَآءِ الخير} في الأَوّل، و{ذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ} فى الثَّانى [2].

الموضع الثالث:

قوله تعالى﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ... ﴾ [الإسراء: ٦١]

(١) السيوطي، «معترك الأقران في إعجاز القرآن»، (٨١/١).

(٢) ينظر، أبو السعود، «إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم»، (١٩١/٥)، السيوطي، «معترك الأقران في إعجاز القرآن»، (٥٢/٢)، الكرماني، مرجع سابق، (ص٢٢٣).

وقوله تعالى﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ [الحجر: ٢٩]، [ص: ٧٢]

موضع التشابه:

وقع التشابه بالإبدال بين جملة (اسجدوا) في قوله تعالى: (اسجدوا لآدم) في سورة الإسراء، وجملة (فقعوا له ساجدين) في سورتي ص والحجر.

التوجيه

من تأمل السور السابقة تبين له: أن الأمر بالسجود فيها جاء مرتبطًا بسياق الآيات ارتباطًا وثيقًا.

فإذا تأمل آية سورة الإسراء وجدنا أن الآية فيها تميل إلى الاختصار فقد قال الله تعالى﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ ﴾ [الإسراء: ٦١]، ولم يرد فيها تفاصيل عن خلق آدم عليه السلام، لذا جاء الأمر بالسجود مناسبًا لسياقها، أي: بصيغة الأمر الصريحة (اسجدوا) دون زيادة.

أمّا سورتي الحجر وص فقد خرجتا عن دائرة الاختصار إلى البسط، فجاء فيهما بعض التفاصيل عن خلق آدم عليه السلام ففي سورة الحجر قال﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الحجر: ٢٦-

٢٩]، وفي سورة ص قال ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [ص: ٧١-٧٤]، وهذه البسط الذي جاء في هذه الآيات يُظهر بوضوح عظمة الله تعالى، وبديع خلقه، وعجيب قدرته، ثم إن أجلّ وأعظم ما في هذا البسط هو قوله تعالى (فإذا سويته ونفخت فيه من روحي) وهو يعد تعليلاً للأمر بالسجود، فكأنه سبحانه يبين أن السجود ليس لأنه خُلق من طين، إنما لأنه شرفه بالنفخ فيه من روحه، فكل هذا يسلتزم أمرًا بالسجود بألفاظ بليغة زائدة على مجرد الأمر بالسجود تؤكد على الامتثال الفوري والسرعة في التنفيذ للأمر بالسجود، تشريفًا له لأن لله سبحانه نفخ فيه من روحه لذا ناسب أن يأتي السجود هنا مسبوقًا بفعل الوقوع وهو قوله تعالى (فقعوا له ساجدين)، لمناسبة السياق؛ لأنه أبلغ وأقوى من الأمر بالسجود بلفظ الأمر(اسجدوا).

- **الخاتمة:** وفيها أهم النتائج والتوصيات.

الحمدُ للهِ رب العالمين، والصلاة على خير الخلق سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

بعد هذه الدراسة الماتعة للمتشابه اللفظي في سورتي الإسراء والكهف وال

وانتهى الباحثُ إلى نتائجَ تُلخَّصُ في الآتي:

١- إن القرآن الكريم مجال خصب للمتشابه اللفظي.

٢- أثبتت الدراسة أن القرآن الكريم دقيق في نظمه وأسلوبه ومعانيه

٣- إن دراسة المتشابه اللفظي تساهم في إبراز جوانب الإعجاز القرآني بصورة أكثر وضوحًا.

٤- إن إبراز أغراض المتشابه اللفظي يدفع الكثير من التساؤلات التي تدور في أذهان الكثيرين.

٥- إن الوقوف على أسرار المتشابه اللفظي يسهم في دحض كثير من الشبهات التي يلقيه المغرضون في ساحة القرآن الكريم.

٦- أثبت الدراسة أن حرف وكل لفظ في النص القرآني مقصود بذاته لغرض خاص، ولا يمكن للفظة أن تحل محل لفظة أخرى وتؤدي المقصود بلا اختلال في المعني أو اضطراب في الأسلوب.

٧- أثبتت الدراسة أن السياق القرآني له أهمية كبرى في اختيار الحرف المناسب واللفظة المناسبة.

٨- بينت الدراسة أن من عظمة القرآن الكريم وروعته وجمال نظمه اختيار الألفاظ القرآنية في مواطنها المناسبة.

التوصيات:

١- أوصي بأن يقوم فريق بحث من العلماء المتخصصين لدراسة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم دراسة متقنة تبين أسراره وحكمه.

٢- العمل الجاد على تسخير معطيات وأدوات الفهم السليم للوقوف على حكم وأسرار المتشابه اللفظي في القرآن الكريم.